جبران في مئويته الثانية

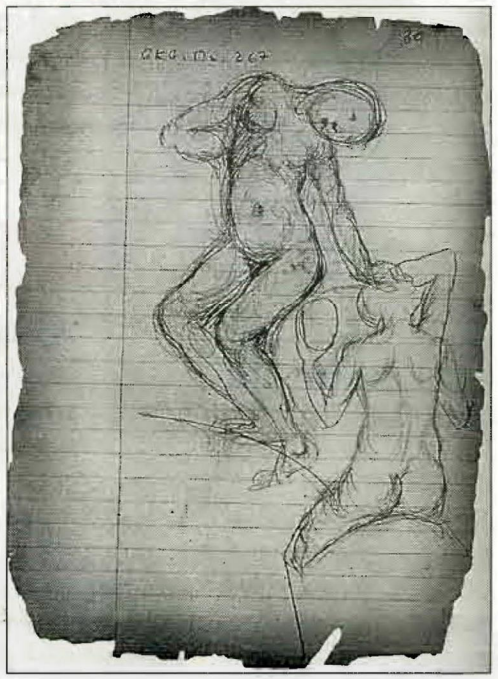

"أقلب الصفحة يا فتى" هو عنوان الكتاب الفاخر الذي أصدرته لجنة جبران الوطنية بالتعاون مع وزارة الثقافة. حقق المخطوطات حافظ متحف جبران في بشري الأستاذ وهيب كيروز وراجعها الأستاذ أنطوان الخوري طوق، كل ذلك بالتعاون مع الهيئة الإستشارية المؤلفة من: متري بولس، ألكسندر نجار، وهيب كيروز، محسن يمين.

قدم للكتاب وزير الثقافة سليم وردة.

ترى هل أحسنت لجنة جبران الوطنية صنعا بنشرها هذه الصفحات من مخطوطات جبران التي لم يسبق أن نشرت؟ سؤال لم يغفله الناشرون، إذ تجاذبهم في هذا المجال رأيان أحدهما يدعو الى عدم النشر احتراما لرغبة جبران، إذ لو كان راغبا في نشرها لنشرها في حياته، أما الرأي الثاني فشجع على النشر باعتبار أن من حق القارئ التعرف الى جوانب مخفية من شخصية جبران.

بالطبع أصحاب الرأي الأول استوقفتهم محاذير النشر، إذ إن المخطوطات التي نشرت "لا تشكل إضافة حقيقية الى أدب جبران وفكره بوجه عام، فليس من مواقف فكرية أو آراء نقدية أو دينية أو اجتماعية أو لغوية غير معروفة لدى قارئي جبران وعارفيه والمعجبين بأسلوبه وعصبه الحي المشتعل"، على ما جاء في التوطئة التي كتبها أنطوان الخوري طوق. والمحاذير، في الحقيقة، عديدة: أغلاط إملائية ونحوية (المملوّة بدل المملوءة، تبيدء بدل تبتدئ، مأساته، نقطى الشتاء بدل نقط، السولات بدل السؤالات، المتصاقطة بدل المتساقطة... وسواها الكثير)، وهي أغلاط يعزوها الناشر الى "تلقائية جبران وسعيه الى سرعة تجسيد المشاعر والأحاسيس قبل أن تفلت منه".

لكن، لو وضعنا هذه المحاذير جانبا، فإن ما نشر يقدم إضافة كبيرة لقراء جبران. فرغم أن هذه المخطوطات لا ترتبط، في معظمها، بتاريخ واضح، إلا أنها تشهد على مراحل تطور جبران الفكري والأدبي والفني، إذ يمكن تبين تاريخها، وإن لم يكن على وجه الدقة، إما لأنها أجزاء من كتابات منشورة لجبران، وإما لأنها تنتمي الى المناخ نفسه الذي تنتمي إليه الكتابات المنشورة.

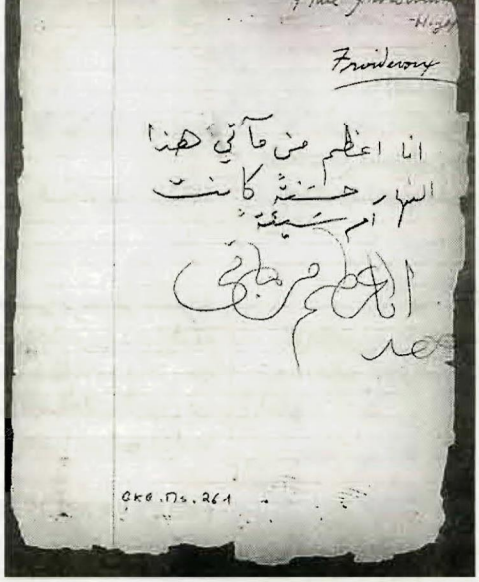

ففي هذه المخطوطات إشارة إلى عادات جبران في الكتابة. فهو أولا ينوّع في ألوان القلم الذي يكتب به، بالحبر الأزرق، بالحبر الصيني، بالحبر الأسود، بالقلم الفحمي. وهذه الألوان لا تتبدل من مقالة الى أخرى فحسب بل ضمن المقالة الواحدة أحيانا.

عادة أخرى، هي كثرة التشطيب في المخطوطات، حذف كلمات واستبدالها بأخرى، إضافة أسطر بكاملها، وضع الفكرة الواحدة في أكثر من صيغة من دون الإستقرار على واحدة بعينها... أما حين يجد جبران أن الفكرة اكتملت ونالت رضاه، فيذيل الصفحة بعبارة "إقلب الصفحة يا فتى" أو "إقلب الصفحة يا جبران" (من هنا عنوان الكتاب)، تمهيدا للإنتقال الى الصفحة التالية.

أما إذا شاء أن يمنح نفسه فرصة انتظار لمعاودة الكتابة حين يعاوده الدفق الشعوري فإنه "يستريح على ضفاف الدفاتر فيرسم أجسادا عارية ووجوها حزينة أو متألمة وأجسادا في أوضاع مختلفة".

يذكر أن هذه المخطوطات ليست كل ما تبقى من نتاج غير منشور لجبران، فقد أسقطت من النشر "المحاولات الشعرية والقصص والمسرحيات والحوارات الزجلية غير المكتملة والناقصة إما لفقدان بعض الأوراق أو تمزق بعض الدفاتر وإما لعدم اكتمال الفكرة أو العبارة"، إضافة الى أن ثمة مخطوطات لم تنشر وهي في حوزة أفراد ومؤسسات ومتاحف في لبنان وفي شتى أنحاء العالم (من بينها متحف خاص بهذه المخطوطات أنشأه الثري اللبناني الأصل كارلوس سليم في المكسيك). ولا يزال في متحف جبران في بشري مخطوطات أخرى هي في تصرف دارسي جبران ومتتبعي آثاره.

يبقى أن نذكر أن هذه المخطوطات صنفها الناشر بحسب موضوعاتها مقترحا لها عناوين من وحي تلك الموضوعات: من أنت يا جبران؟، وجدانيات، مناجاة، تأملات، لست بسياسي ولا أريد أن أكون سياسيا، الحلقات الذهبية ورسائل...

من هذه المخطوطات نختار اثنتين: لما فيهما من دلالة: الأولى بعنوان "من يعش ير" يقول فيها جبران:

"لبنان يتمخض بثورة مذهبية ومن يعش ير.

لبنان البلد الصغير، الهادئ الآن، سيكون مسرحا لمجزرة هائلة يذبح فيها المسلم المسيحي والمسيحي الدرزي. وسوف يذبح المسيحي أخاه المسيحي. ومن يعش ير".

والثانية بعنوان "فضيلة الغربي" يقول فيها:

"خلاصكم من تركيا بدء حرب لا تنتهي حتى تصبحوا أحرارا.

عندما تلتقي بالغربي إعلم بأنك تلتقي بعدو.

الغربي لا يحبّك من أجل صالحك بل من أجل جيبه.

فضيلة الغربي في الغرب وليست في الشرق.

إني أحب الغربي في بلاده ولا أحبه في بلادي لأنني أعلم بأنه لم يذهب إليها إلا لصالح